مقال نشر في مجلة الاداري عدد تشرين الثاني (نوفبمر) 1996

عروس المتوسط استعادة عرشها

إنجازنا الأهم كان على مستوى لبنان ، ومن أجله

بقلم جوزف زخور ، رئيس جمعية شركات الضمان في لبنان
رئيس الإتحاد العام العربي للتأمين سابقا

الإعتداد بالذات أمر لا تستثيغه الناس ٠ وأنا أترك للشركات التي إنتخبتني لثلاث مرات على التوالي رئيسا لجمعية شركات الضمان في لبنان أن تتحدث عني وعن الأعمال التي حققتها خلال تولي الزمام في الجمعية ٠

ولست أدعي إن بين تلك الأعمال الكثير مما يصلح أن يسمى " إنجازا " هذا إذا أردنا أن نحفظ لكلمة إنجاز معناها الحق ، ونتحاشى الإبتذال ٠ وبين القليل من الإنجازات التي أجروء على التحدث عنها بإعتزاز ، كانت دعوتي الإتحاد العام العربي للتأمين لعقد مؤتمره التاسع عشر في بيروت وذلك غداة إنتخابي للمرة الأولى رئيسا لجمعية شركات الضمان في لبنان ، مطلع العام ١٩٩١ ٠ أما الهدف الذي أردت بلوغه من تلك الدعوة ، فهو استقدام العرب والأجانب إلى لبنان ، ليشهدوا بأم العين بأن الحرب إنتهت ، وإن " لبنان الطاعون " وهذا التعبير هو لجورج شولتز ، وزير الخارجية الأميركية الأسبق قد أصبح من الماضي ٠

بيروت لم تكن عندئذ قد خرجت بعد من الركام ، والمياه والكهرباء والهاتف كانت ما تزال من الكماليات التي لا يملكها إلا من صادر مرفأ ، أو نصب نفسه ديكا على زاروب ، أو حي ، أو قرية والمهجرون والمشردون كانوا ما يزالون منتشرين في كل مكان ، وكانت ألبستهم الداخلية ما تزال " منشورة " على الشبابيك وشرفات الأبنية المحتلة ٠

حتى رئيس الجمهورية الإستاذ الياس الهراوي ، الذي زرناه في ذاك الوقت لنطلب رعايته للمؤتمر كان ما يزال مهجرا ، إلى بناية " أوجيه " في محلة السبينس ٠ وهو كغيره من المسؤولين أعجبته المبادرة ، وبكونها كانت تلك المرة الأولى التي تأتي فيها وفود عربية و دولية إلى بيروت ما بعد الحرب ، فقد قرر فخامته الخروج عن بروتوكول الرئاسة وحضور المؤتمر شخصيا ٠ (البروتوكول الرئاسي يقضي بأن يحضرالرئيس المؤتمرات الحكومية دون سواها) ومؤتمرنا لم يكن حكوميا لا من قريب و لا من بعيد ٠

أما الوزراء المعنيون بالموضوع ، وكانوا في ذلك الوقت يشغلون مواقع تختلف عن تلك التي يشغلونها اليوم وهم مروان حماده (الإقتصاد والتجارة) و شوقي فاخوري (النقل) وسامي الخطيب (الداخلية) والمدير العام للأمن العام ريمون روفايل ، فلم يكونوا أقل حماسا من الرئيس الهراوي ، إلا أن بعضهم لم يخف خشيته من أن تكون الخطوة التي إتخذناها سابقة لأوانها ٠ وهم لم يكونوا قد نسوا بعد تجربة خطف وإسترهان الأجانب في لبنان ٠

لقد بدا القلق واضحا على وجوه بعضهم ٠ حتى إن اللواء سامي الخطيب إستنفر الجهزة الأمنية وعقد إجتماعا مشتركا لرؤساء المديريات ، والمصالح بحضوري خصصه للبحث في التدابير التي يتعين إتخاذها من أجل تأمين سلامة الضيوف ٠وتقرر على الأثر فصل كوكبتين من قوى الأمن الداخلي لمرافقة المشاركين في المؤتمر ، وتوفير الحماية لهم على مدار الساعة ٠

ولعل هذه هي المرة الأولى التي أكشف فيها عن سر من بين أسرار عديدة أحاطت بالمؤتمر ، وهي إن بعض الزملاء في مجلس إدارة الجمعية ، حاول أكثر من مرة أن يثنيني عن قراري ، وحيال إصراري على عقد المؤتمر ، إقترح أحدهم أن نشتري بوليصة تضمن مسؤولية الجمعية حيال أي شخص يتعرض لأي إزعاج أو خطر بما فيه خطر التعرض للخطف ٠ !!!!!

ولقد أجرينا إتصالا بالشركات المتخصصة بضمان هذا النوع من الأخطار في أوروبا ، وتلقينا من إحدى الشركات كتابا توافق فيه على بيعنا الغطاء المطلوب ٠ إلا إن القسط الذي طلبته مقابل ذلك ، كان يتجاوز الموازنة المخصصة للمؤتمر، و لذلك صرفنا النظر عن بوليصة التأمين ضد الخطف ، وقررنا التوكل على الله ، وعلى همة عناصر قوى الأمن الداخلي ٠

وصباح يوم الإثنين ٤ أيار (مايو) ١٩٩٢ ، إنعقد المؤتمر بحضور ٦٧٥ شخصا من الأشقاء العرب والأصدقاء الأجانب ٠ جميع الحاضرين كانوا من الذين لم يروا لبنان منذ العام ١٩٧٥ ٠ وقد تحدث إليهم رئيس الجمهورية ، معلنا ولوج لبنان باب السلام ومؤكدا إن الحرب ولت إلى غير رجعة ٠

أما كلمتي إلى المؤتمرين فقد بدأتها بالقول إن بيروت أفاقت اليوم باسمة وهي تستعيد إبتسامتها بعد إكتئاب إستغرق ١٧ عاما ٠ وقلت لهم إن زيارتكم لنا ، سوف تبين لكم بأن عروبتنا ليست لباسا نرتديه في المواسم بل هي فعل نعيشه في ممارساتنا اليومية وإن مدينة الإمام الأوزاعي وفخر الدين وجبران وأمين الريحاني ، لم تفقد شيئا من قيمها الإنسانية ٠ وإن مؤتمرنا هذا ، هو المحطة التي نبدأ فيها المسيرة لنستعيد الريادة التي كانت لنا ٠

بإنتهاء المؤتمر إنتقلت رئاسة الإتحاد العام العربي للتأمين من مصر إلى لبنان ممثلا فيّ شخصيا بكوني رئيس الهيئة المضيفة وهي جمعية شركات الضمان في لبنان ٠ وكانت تلك هي المرة الأولى التي يتولى فيها لبناني ذلك المنصب ٠ ولقد اصاب مؤتمرنا نجاحا جعل الوزير مروان حماده يبلغني بأن الدولة اللبنانية قررت منحي وزميلين عربيين وساما لبنانيا ، تقديرا لعملنا ٠ القرار لم ير طريقه إلى التنفيذ وهذا غير مهم ٠

المهم إن المؤتمر ، حقق الغاية التي أوجدناه من أجلها ٠ لقد كان البداية التي كرست إستعادة عروس المتوسط لعرش إختطفوه منها في غفلة من الزمن ٠ ومنذ ٤ أيار (مايو) ١٩٩٢ ، تحولت بيروت إلى منبر يجتمع حوله رجال أعمال ، ومفكرون ، وعلماء ، وفنانون ، وكتاب وشعراء من الأمم كافة ٠

ذلك كان الإنجاز الذي يثير فيّ أكبر مقدار من الإعتزاز ، لقد كان إنجازا على مستوى لبنان ومن أجله

جـــوزف زخـــور